الغريب... وأنا

. مـــــاهـر رجـــــا* .

منذ زمانٍ
ثمّةَ آخرُ أغربُ مني
يَسْكُنُ أرضَ أنايْ،
يَخْرُجُ من جَسَدي ليراني،
يُقبلُ حتى يُصبحَ أبْعَدَ،
يَذْهَبُ كَيْ أُبْصِرَهُ أقْرَبَ بين ضبابِ
العَين وبيني،
ويعاتبني حين أكونُ «أنا»
يُشبِهُني ذاك الرَّجُلُ الغافلُ فِيَّ..
وفِي
لحظاتِ الهَدْأةِ من دُنيايْ.

❖ ❖

ثمّةَ آخرُ
ـ أشْعُرُ ـ ثمةَ شخصٌ آخرُ
ليس خيالاً أو أوهامًا
كلَّ صباحٍ يَسْحَبُ مِنْ عينيه سَحَابًا
ثم يحدِّق في مرآتي،
يَلْمِسُ خطّاً أبيضَ فوق العَيْنِ
وقد يتجهّمُ من أحلامٍ نامت قُربيَ
كي توقظَني جَزِعًا في سَكَنَاتِ الليلْ.

يَسألُ بعد قليلٍ:
«هَلْ مازلتَ تَرَى بالقاتِمِ؟
اذهبْ نحو الأزرقِ مِثْلي.»
ثمَّ يَروحُ يُصَفِّرُ لحْنًا
فيما خَلْفَ الصَّوتِ يُعِدُّ لَهُ (لِي)
قهوتَنا
ويَذوبُ، فلا أُبصِرُهُ.. لَكِنْ أسْمَعُهُ
يَهمسُ قَبْلَ خروجيَ:
«إنَّ اليومَ مِثاليٌّ كي تبقى أنتَ أنا
وتُوقِّعَ خَطْوَكَ فوق خُطايْ.»

❖ ❖

ثمةَ آخرُ
يَأخذُ أحيانًا صوتي،
وينادي أسماءً لا أعرفُها،
ويغنّي بحنينٍ عن بَلَدٍ في أقْصى
الدُّنيا،
فأُحِسُّ ببُحّته شَكْواي.
وإذا أجْهَدَه الحُزنُ يَميلُ ويبكي
ويصيحُ: «ألا تبكي الغُرْبةَ يا ظِلّيْ!
أنتَ أنَا،
أمْ تَحْسَبُ أنْ لا منفى يَسْكُنُ فِيكَ
وأنّي أسكنُ في مَنفايْ؟!»

❖ ❖

ليس خيالاً
لكنْ.. مثلَ خيالٍ!
ثمةَ آخرُ يَمْشي خَلْفِيَ،
يمشي فوق الخُطْوَةِ قُرْبِيَ،
يمشي فِيَّ وليس بِظِلٍّ،
يمحو وجْهِيَ حينَ تَمُرُّ امْرَأةٌ،
يمحو المشْهَدَ حين يراني سَفَرٌ،
ثمَّ يُعَلِّقُ: «لَنْ تتركَني فابْقَ هنا،
أو سافِرْ في قَلَقي إنْ شِئتَ
فأنتَ، على مَقْربةٍ، بَعْضُ أنا.
أرأيتَ إذًا ما حَلَّ بِنَا؟
أصبحنا محبوسَيْنِ مَعًا
مع هذا الخوفِ وفي جَسَدٍ
لا يعرفُ كيف يَطيرُ بنا!»

❖ ❖

مِثْليَ هدا الآخرُ.. مثلي
كي يُشْبِهَني يَذْهب في ما خَلْفَ
رُؤايْ.

* ـ شاعر فلسطيني مقيم في دمشق

مِـثلي يَعـرِفُ طُرُقـاتي في أرضِ سِوايْ،
مِثلي لا يعرفُني إلاّ حين تَتوهُ خُطايْ،
وعلى دَرْبِ رجوعي في صمْتِ الليلْ
إلى البيتِ... لَهُ قَدَمايْ!

❖ ❖

كُنْتُ أقولُ لَهُ كي يَرْحَلَ:
«أنْتَ غريبٌ عنّي
لسنا مهزوميْنِ معًا
بل أنتَ المنتصرُ لتهزمَني،
والمسحورُ لتُسْقِطَني في كَهْفِ السِّحْرِ،
وأنتَ المُستوْحِشُ في الأسفار
لترميَني في العَرباتِ حقائبَ لسوايْ،
وتُوَدِّعُ في الميناء أحبَّتَكَ الغرباءَ،
أراكَ تُلَوِّحُ بيديْكَ الغائمتينِ على
ظهْرِ الماءِ.. ولكنْ،
غرباءٌ أهْلُكَ عنّي.. غرباءْ
فلماذا أشْعُرُ ـ إنْ لَوَّحْتَ ـ
بأنَّ يديْكَ يدايْ؟!»

❖ ❖

منذ زمانٍ
ثمّةَ شخصٌ آخرُ يَسْكُنُ أرضَ أنايْ،
لا يتعثَّرُ مِثلي في ذِكرى أمسِ
ولا يَعرفُ وَجْهَ امرأةٍ يَسْكُنني،
لا يقرأُ كُتُبي،
يَرْمُقُني إذ أبكي بعُيونِ الصَّخْرِ الصَّلدِ،
وحين يغادرُني يَهْمِسُ:
«أنتَ غَريبٌ عنّي
وبعيدٌ عَنْ سِرِّ هَوَايْ!»

❖ ❖

أأنا الآخَرُ؟
أأنا نفسي الأُخْرى؟
مَنْ منَّا أدعوهُ غريبًا؟!
أسألُ.. ثم أُخبّئ وجهي
وأَسيرُ مع النّاسِ
الماضينَ على الطُرقات فُرادى
دونَ ظِلالٍ أوْ أسماءٍ أخرى
فأرى الآخرَ في ناصيةٍ يَسْخَرُ منّي
ثم يُنادي: «أنتَ الآنَ سِوايْ
لن تعرفَني إلاّ حين تفكّرُ مثلي
وترى وجهكَ في مرآة البحرِ.
اتبعنْي،
حَاوِلْ أنْ تَهْرُبَ يومًا
وستلقانيَ في أوّلِ ظِلٍّ
مَهْجورٍ من أصوات الأرض الأُخرى
أترى في الكَوْنِ الغامضِ ما أُبْصِرُهُ؟
يا الله!
ما أجملَ ما تُبصرهُ عَينايْ!»

دمشق

في بحث الأستاذ كميل داغر في العدد السابق، سقطتْ من ص ١١١ جملةٌ قَلَب سقوطُها المعنى بالكامل، بحيث بات يَفْهم القارئ أنّ المسؤول عن إفشال مشروع الزواج المدني الاختياري هو الياس الهراوي، لا رفيق الحريري. أما الصواب فيجب أن يكون على الشكل التالي:

«وقد كان معبِّرًا جداً الموقفُ الذي اتّخذه، في الأشهر الأخيرة من ولاية الرئيس السابق للجمهورية اللبنانية، الياس الهراوي، للحيلولة دون مرور مشروع الزواج المدني الاختياري. ومن ضمن ذلك استدعاؤه مفتي الجمهورية اللبنانية، للعودة إلى بيروت من زيارته للمملكة السعودية لأجل لعب دور حاسم في إفشال المشروع المذكور.»